

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا  
الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ) .

\* \* \*

## لَقَدْ كَلَّمْنَا

إلى روح والديّ الأعزاء . .  
أقدم هذا الجهد العلمي المتواضع ، الذي هو  
ثمرة غرسهما . . وفاء وعرفانا .

د . على عبد الفتاح المغربي

obeikandi.com

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

يعد علم الكلام أهم فروع الفلسفة الإسلامية وأكثرها أصالة ، ويبدو فيه ابتكار المسلمين ، ووضوح العنصر الإسلامى أكثر من غيره ، ولا يعنى هذا أنه كان مقطوع الصلة بالثقافات الأجنبية ، بل نقصد قلة ذلك التأثير خاصة عند أوائل المتكلمين الذين جعلوا من مهامهم استبعاد تلك الثقافات من الدين ، لكن سرعان ما اختلط علم الكلام بتلك الفلسفات ، ومهما يكن شأن ذلك الاختلاط فإن لعلم الكلام هويته المستقلة التى تبدو فيها أصوله الإسلامية واضحة ، ويمكن القول بأنه خير ممثل لتراثنا الفكرى ، ومن هنا نشأت أهمية الدراسات والأبحاث فى هذا العلم ، لتكشف لنا عن مناحى هذا التراث الفكرى وما فيه من قيم أصيلة يمكن أن تصلح فى تكوين هويتنا الفكرية المعاصرة .

ولقد جاءت هذه الدراسة لتلقى بعض الأضواء على هذا العلم ومشكلاته ، وليس من المتيسر أن يشمل كتاب واحد ذلك كله ، لذا آثرنا أن نصدر سلسلة من الدراسات الكلامية ، نبدأها بهذا الكتاب الذى بين يدي القارئ .

والمنهج الذى اتبعناه فى هذا الكتاب هو الإيجاز الذى نرجو ألا يكون مخلا ، وذلك بالاختصار على الأفكار الأساسية ، دون الاهتمام بالكثير من التفاصيل والتفريعات التى تبدو لنا أنها تعوق دراسة هذا العلم ولا تخدمه .

وأیضا حاولنا أن نبين الأساس الذى تبنى عليه الآراء ، بحيث يكون أداة لفهم آراء كل فرقة ، والذى يفسر لنا تلك الآراء .

وكان علينا فى سبيل تحقيق ذلك أن نرجع إلى المصادر الرئيسية للمتكلمين أنفسهم ، دون التأثر بما يكتبه خصوم كل فرقة عن الفرقة الأخرى . ونلقى بعض الأضواء على محتويات هذا الكتاب . فهو مقسم إلى قسمين : القسم الأول يتناول المدخل الذى يشمل بعض القضايا الرئيسية التى تخص علم الكلام من حيث هو علم كتعريفه وموضوعه وتسميته ومناهج البحث فيه ، ولقد حاولنا أن نبرز بصفة خاصة مناهج البحث لأن هذا من الموضوعات الهامة التى يجب أن يتوسع فيها الدارسون ، إذ أن ذلك سوف يوقفنا على حقيقة آراء المتكلمين ، واختلاف مذاهبهم . ولقد ألقينا الضوء على الملامح الرئيسية لذلك المنهج بالقدر الذى يسمح به المجال ، على أمل أن نعود إليه فى دراسة مستقلة إن شاء الله تعالى .

وعرضنا فى هذا القسم لعوامل نشأة علم الكلام ، سواء أكانت عوامل داخلية أو عوامل خارجية أو عامل يرجع إلى طبيعة العقل البشرى ، ولقد كانت نشأة علم الكلام وليدة تلك العوامل مجتمعة ، ولقد توسعنا فى ذكر بعض العوامل . وأوجزنا فى ذكر الآخر ، لكننا لا نقلل من دور كل العوامل وأهميتها ، وإنما كان التوسع فيما توسعنا فيه ضروريا لأهمية ذلك ، ولقد أشرنا إلى أسباب ذلك عند الحديث عن تلك العوامل .

ولم يَلزَ علم الكلام قبولا لدى جميع المسلمين ، فتباينت المواقف بإزائه بين مؤيد له بإطلاق ، أو معارض له بإطلاق ، أو بين من توسط بين التأييد المطلق والمعارضة المطلقة ، فتحرز فى تأييده ، وكان علينا أن نعرض لتلك المواقف التى أثرت منذ قيام ذلك العلم ، بل وامتد التساؤل عن جدواه فى العصر الحاضر ، لذا كان لا بد من أن نعرض لذلك الموقف داعين إلى تطوير علم الكلام من حيث المنهج والموضوع حتى يتلاءم مع المؤمن المعاصر .

ولقد تحدثنا عن صلة علم الكلام بالعلوم الأخرى التى نشأت فى البيئة الإسلامية ، وخصصنا بالذكر صلته بالفلسفة والتصوف وأصول الفقه ، ولقد

كان هناك اتفاق بين هذه العلوم وعلم الكلام وأيضا كانت هناك نقاط افتراق بينه وبين هذه العلوم ، وهذا ما يحدد استقلال العلم وهويته .

ولقد أطلنا فى هذا القسم على غير المعتاد فى الكتب التى تعرض لعلم الكلام ، وذلك إيماننا منا بضرورة وأهمية ذلك ، إذ أنه سوف يلقى الضوء على مواقف المتكلمين وآرائهم ، وفى نفس الوقت نزداد معرفة بالعلم وأهميته وجدواه .

والقسم الثانى : تناول الفرق الكلامية ، ولقد قسم إلى خمسة فصول :

**الفصل الأول :** احتوى على فرقة الشيعة ، وتعرضنا لظروف نشأتها ولفرقها المتعددة من غلاة وإمامية وزيدية ، وحاولنا أن نبرز اتجاهات وآراء الشيعة الكلامية وظهور بعض الآراء المخالفة للدين خاصة من الغلاة والإمامية .

**والفصل الثانى :** يختص بالحوارج ، وظروف نشأتها وفرقها الرئيسية ، ومن خلال عرض ذلك حاولنا أن نتلمس الآراء الكلامية عندهم ، خاصة وأن بواكير المباحث الكلامية وهى البحث عن حقيقة الإيمان وعلاقته بالعمل والموقف من أصحاب الكبائر نشأت بظهور الحوارج .

والواقع أن فرقة الشيعة والحوارج ذات طابع سياسى ، لذا نرى قلة اهتمامهم بالجانب النظرى ، لكن استناد هذه المواقف السياسية إلى الدين ، جعلهم يفهمون العقيدة فهما خاصا ، ويثولها كل فريق بما يخدم رأيه . ومن هنا يمكن أن نعثر على مواقفهم الكلامية .

**الفصل الثالث :** وهو يعرض لأهم فرقة كلامية ، والتى نشأ على يديها علم الكلام وتأسس على يد أقطابها ، وتكون مذهب ذات نسق متكامل فى علم الكلام . والواقع أن هناك صعوبة قد واجهتنا فى كيفية عرض آراء هذه الفرقة لأنها تحوى فى داخلها الكثير من الفرق ، لكننا آثرنا أن نعرض لها من خلال عرض الأصول الخمسة التى اتفق عليها المعتزلة ، والتى تمثل الخط

الفكرى العام ، دون أن نفرّد أبحاثاً خاصة بكل فرقة من فرقها ، وإنما تثنى آراء هؤلاء الأعلام من خلال عرض الأصول الخمسة ، ولئن كان أفراد بحث مستقل لكل فرقة سوف يخرج هذا البحث عن نطاقه ومجاله ، ومن خلال عرض تلك الأصول الخمسة يستطيع القارئ أن يلم بأفكار المعتزلة الرئيسية .

**الفصل الرابع :** وهو يعرض لآراء الأشاعرة وذلك عن طريق الإجمال ، ونفس الخطوات التى اتبعناها فى عرض آراء المعتزلة ، قد اتبعناها فى عرض آراء الأشاعرة ، فعرضنا لمجمل آرائهم الكلامية الرئيسية ، ولقد ألمحنا فى بعض المواضع إلى نقاط الخلاف بينهم وبين المعتزلة ، وألمحنا أيضا إلى تطور الرأى داخل مدرسة الأشاعرة بإزاء بعض المواقف .

**الفصل الخامس :** وهو يعرض للمدرسة الماتريدية ، وغرضنا من إيراد ذلك الفصل أن نكمل ما قد بدأنا بدراسة أبو منصور الماتريدى المؤسس الحقيقى لمدرسة الماتريدية والتى تنتسب إليه . وتسمى باسمه . ولقد حاولنا أن نتلمس جذور تلك المدرسة عند الإمام أبو حنيفة ، وأن نتابع تطور المدرسة من بعد الماتريدى ممثلة فى أشهر أعلامها أبو المعين النسفى .

وبعد . . فتلك محاولة متواضعة حاولنا أن نلقى الضوء على الملامح الرئيسية لعم الكلام وللفرق الكلامية خاصة الفرق الثلاث الكبرى : المعتزلة ، والأشاعرة ، والماتريدية ، وإننا لنعلم أن هذا العمل رغم ما بذلنا فيه من جهد شأنه شأن أى عمل إنسانى لا يخلو من نقص ، ونعلم أيضا أن امتلاك الحقيقة أمر عسير المنال ، لذا نرحب بصدق وبصدر رحب للنقد من القراء ، مؤمنين بأن النقد هو سبيل الوصول إلى الكمال ، والله أدعو أن يتفع به طلاب العلم ومحبى المعرفة الباحثين عن الحقيقة .

\* \* \*

د . على عبد الفتاح المغربى